السيّدُ رئيسُ مَجمع اللغة العربيّة،
السيّداتُ والسادةُ أعضاءُ المَجمع،
السيّداتُ والسادةُ الحضور:

اسمحوا لي –في البداية– أن أعبّر عن عظيم امتناني لهذا الشرف بانتخابي عضوًا عامِلا في مَجمعكم الكريم؛ وأرجو أن أكون عند حسن ظنّ من اختارني –وأخصّ بالذكر أمينَ المَجمع الأستاذ الدكتور مكّي الحسني أطال اللهُ في عمره والذي اقترحني أوّلاً– لهذه المُهِمَّةِ المُشرِّفة، من خلال العمل –بمساعدة زملائي الأعضاء اللغويّين والعلميّين– على استنباط مصطلحاتٍ وتعابيرَ علميّةٍ مناسبة في مجال الفيزياء والرياضيات والهندسة تُبيّن غِنى اللغةِ العربيّة وقُدرتَها على التوسّع والتكيُّف وعلى استيعاب العلوم الحديثة.

واسمحوا لي أيضا أن أشكر الزميل العزيز الدكتور عماد صابوني على كلمته الجميلة التي تفضّل وقدّمني بها والتي تُبيِّن –ربّما– غَلَبَةَ الجانب العلميّ والكتابةَ باللغات الأجنبيّة مقارنةً بلغتي الأمّ، وهذا أمرٌ أتمنّى معالجتَه قريبًا من خلال زيادة مشاركتي في نشاطات المَجمع وبعضِ الجمعيّات المحلّيّة والإقليميّة التي تركّز على نشر الثقافة في العالَم العربي.

وما يُزيد من شعوري بالهيبة هو أنني اخترتُ الحديثَ عن سَلَفٍ مجمعيّ قدير هو الأستاذ الدكتور موفق دعبول، شاءت الظروفُ أن ألتقيَ به سريعاً قبل أن يسرقَه القدرُ منّا، بينما كنتُ أسمع الكثيرَ عنه منذ شبابي. استعنْتُ بكتابِ "محطّاتٌ من عَبَق الياسمين" بجزأَيه والذي كتبَه وأولادَه عن قصصِهم وتجاربِ حياتهم، وبمقابلاتٍ مُتلفَزةٍ موجودة على الشابكة، بالإضافة إلى الملاحظات العديدة التي زوّدني بها من درَّسَهم، ومنهم من كنتُ طالباً له، وأخصّ أستاذي الدكتور بشير قابيل، بالإضافة إلى ذوي السَّلَف الكريم وإضافاتهم القيّمة على معلوماتي عن الفقيد.

لقد قيلَ الكثيرُ عن الدكتور الفقيد وعن مشاركتِه في التطوّر العلمي في بلادنا، ولعلّ انتخابَه عضواً عاملاً في المَجمع عام اثنَين وألفَين 2002 كان اعترافاً بسيرته العلميّة المِثاليّة وبمقدرتِه على دعم نشاطات التنوير ونشر الثقافة بلُغتِها الأمّ في الوطن.

وُلِد الفقيدُ عامَ ستةٍ وثلاثين وتسعمائةٍ وألف 1936 في حيّ الميدان من مدينة دمشق، وكان الأوسطَ من بين أحد عشر ولداً من أسرةٍ متوسّطة الحال. أمضى الابتدائيّةَ والإعداديّة في

حيّ الميدان ما خلا سنةً في التجهيز الثانية في الحلبوني، ثمّ انتقل إلى التجهيز الأولى (جودة الهاشمي حاليّاً) أثناء الثانويّة التي حاز عليها عامَ ثلاثةٍ وخمسين وتسعمائةٍ وألف 1953. سجّل في كليّة الطبّ كعادةِ من يحوز على علاماتٍ عاليةٍ في البكالوريا، ولكنّ عِشقَه للرياضيّات دَفعَه إلى ترك كليّة الطبّ والانتساب إلى كليّة العلوم، عن طريق كليّة التربية، من خلال مُسابقةٍ تقدّم إليها، وكان ترتيبُه الأوّلَ عليها بفارقٍ كبيرٍ عن أقرانه، حيث مكّنه هذا النجاحُ من الحصول على راتبٍ صغيرٍ يُخفّف أعباءَ الدراسة على أهلِه.

حاز على البكالوريوس في العلوم الرياضيّة والفيزيائيّة عامَ سبعةٍ وخمسين وتسعمائةٍ وألف 1957 من جامعة دمشق، ثم أُوفد باعتباره الناجحَ الأوّلَ في شعبة الرياضيّات إلى جامعة فيينّا التقنيّة بالنّمسا، فتعلّم الألمانيّة، وأنجزَ أطروحتَه في ميكانيك السوائل، ذاك التخصّصُ الدقيقُ الذي يتطلّب مُستوىً مَعرفيًّا عاليًا في الرياضيّات، وناقشها وحاز على شهادة الدكتوراه في العلوم الرياضيّة بدرجة امتياز عامَ واحدٍ وستّين وتسعمائةٍ وألف 1961، ثمّ عاد مباشرةً إلى الوطن مُدرّساً مُعيداً في كليّة العلوم. عَقَد قِرانَه عامَ اثنين وستين وتسعمائةٍ وألف 1962 على حَرَمِه المَصون، وزارَه حينَها مديرُ الجامعةِ الليبيّة في طرابلس الغرب الأستاذ بكري قدّورة –وهو بالمناسبة عمُّ أستاذنا القدير المجمعيّ المرحوم الدكتور عبد الرزاق قدّورة– يطلبه من أجل القيام بزيارةٍ علميّة إلى ليبيا لتسعة أشهر، عاد بعدها عامَ ثلاثةٍ وستين وتسعمائةٍ و ألف 1963 مُدرّساً عضوَ هيئةٍ تدريسيّة في كليّة العلوم، حيث كان من أصغر المُدرّسين، وكان شائعاً أن يأتيَ طلاّبٌ من أقسامٍ أخرى لِيَرَوا هذا الأستاذَ الصغيرَ الذي كان يُعطي محاضراتِه بثقةٍ وتمكّنٍ نادرَين، مُضطرّاً إلى ارتداء ثوبِ التعليم الأبيض أحياناً لتمييزه عن الطلاّب. رُقّي إلى رُتْبَة أستاذ عامَ ثلاثة وسبعين وتسعمائةٍ وألف 1973.

التقيتُ بالكثيرين ممّن درّسهم الدكتور دعبول، ويمكنني القول وبشفافيّة إن أغلبيّة من التقيتُهم يُجمِعون على أن لدروسِه سحراً خاصّاً يجعل الطلاّبَ يستمتعون بحلّ المعادلات ويُحبّون المادةَ التي يدرسونها، إذ كان شرحُه يَثبُت في أذهانهم كلمةً كلمة، وكمْ ساعدتِ الطلاّبَ الكتبُ التي ألّفها أو شارك في تأليفها –وتربو على الأربعين بين مُؤلَّفٍ ومُترجَم– إذ كانت غنيّةً بالتمارين المحلولة وغير المحلولة التي تُوضِّح المقرَّراتِ، وتُفيد فيها.

لقد تَعلّم منه طلاّبُه طريقةَ التدريس وأسلوبَ التعامل مع الطلاب تربوياً بحِكمة ومحبة وكلُّ ذلك بلغة فصيحة جذابة، وحتى بعد مرور السنين كان لا يبخل بلِقاء طلاّبه ممّن كانوا يلجؤون له حين تواجههم بعضُ الصعوبات فيحاول حلَّها بحضورهم باتّصال هاتفيّ أو بإرجاعهم

لمن يَقدِر على حلّها، وذلك كلُّه بسبب محبَّة الناس له وثِقَتِهم أنه لا يتدخّل إلّا بقضيةٍ حقٍّ، ولا يرضى بالغُبْن، وهذه كانت قاعدتَه مع الجميع وليست استثناءً لطلاّبه.

قادتْه هذه السُّمْعَةُ العَطِرة فيما بَعْدُ إلى كثيرٍ من المهامّ الإداريّة، فأصبح رئيساً لقسم الرياضيّات في كليّة العلوم من عامِ ثلاثة وثمانين وتسعمائةٍ وألف 1983 إلى عامِ ستّةٍ وتسعين وتسعمائةٍ وألف 1996، حيث أسّس أولَ مَخبرٍ في المعلوماتيّة مُتاحٍ لجميع طلاّب جامعة دمشق، كما غدا عُضواً في لِجان مجلس التعليم العالي مثل لَجْنَة معادلة الدرجات العلميّة، وأضحى المُشرفَ على المجلس الأعلى للعلوم رئيسَ لَجنةِ المُقرّرين من عامِ اثنين وتسعين وتسعمائةٍ وألف 1992 حتى عامِ واحِدٍ وألفين 2001. تولّى رِئاسةَ تحرير مجلّةِ جامعة دمشق للبحوث العلمية، من عامِ خمسةٍ وثمانين وتسعمائةٍ وألف 1985 إلى عام واحِدٍ وألفين 2001، وشاركَ في تحرير الموسوعة العربية خبيراً في الرياضيات منذ عامِ سبعةٍ وثمانين وتسعمائة وألف 1987، كما تولّى منصِبَ وكيلِ جامعة دمشق للشؤون العلمية من عامِ سبعةٍ وتسعين وتسعمائة وألف 1997 إلى عامِ واحِدٍ وألفين 2001.

ومنذ أن تشكّلتِ الجمعيةُ السوريّة للمعلوماتيّة عامَ ثمانيةٍ وثمانين وتسعمائة وألف 1988، كان فقيدُنا أَحَدَ مؤسّسيها وعُضواً في مجلس إدارتِها، حيث تبوّأ منصِبَ نائبِ الرئيس، فالرئيسِ تِباعاً عامَ ثلاثةٍ وألفَين 2003، ثم أصَرّ بعد أربع 4 سنين على أن يترُكَ هذا المنصِبَ لمنْ هم أكثرُ شباباً منه، إذ كان يؤمِن دومًا بالتّجديد، كما كان رئيسَ تحريرِ مجلّة الثقافة المعلوماتيّة التي أصدرتْها الجمعيّةُ المعلوماتيّة منذ سنةِ خمسٍ وتسعين وتسعمائةٍ وألف 1995 ولغاية وفاتِه، وأوّلَ رئيسِ تحريرٍ لمجلّةَ المعلوماتيّة عامَ خمسةٍ وألفَين 2005.

علاوةً على ذلك، تمّت الاستعانةُ به في إصلاح أمور جمعيّاتٍ شرعيّة وخيريّة، مثل جمعيّةِ الشيخ بدر الدين الحَسَني، عندما تولّى بناءً على طلبٍ من وزارة العمل والشؤون الاجتماعيّة عامَ خمسةٍ وألفَين 2005 رِئاسةَ مجلسِ إدارتِها، ثمّ قَبِل كذلك ولأسباب إنسانيّة إدارةَ جمعيّة رعايةِ المساجين وأسرهم من عام ستّةٍ وألفَين 2006 ولغاية عامِ أَحَدَ عشرَ وألفَين 2011.

تبوّأ بعد بلوغه سنَّ التقاعد عدّةَ مناصِب في الجامعات الخاصّة، فكان أوّلَ رئيسٍ لجامعة القلمون في الفترة بين عامَي ثلاثةٍ وألفَين وأربعةٍ وألفَين 2003–2004، ورئيسَ مجلِسِ أُمناء جامعة اليَرموك عامَ سبعةٍ وألفَين 2007، كما كان عُضواً في لَجْنَة تمكين اللّغة العربيّة التّابعة لوزارة التّربية منذ تشكيلها في بداية عامِ سبعة وألفَين 2007 إلى حين وفاته رحمه الله عامَ واحِدٍ

وعشرين وألفَين 2021، ومن العَدْل والعُرفان –في رأيي– أن يُسمّى أحَدُ مُدرّجاتِ جامعة دمشق أو جامعة القلمون باسمه إقراراً بالأفضالِ الكثيرة التي قام بها خلال مسيرتِه التدريسيّة الطويلة.

من الجدير ذكرُه أن الفقيدَ لم يسعَ إلى أيٍّ من هذه المناصب، بل كانت تُعرَض عليه مع الإلحاحِ، فيقبَلُ بها بالرّغم من رَغْبَتِه بالابتعاد عن تبوُّئها لكي يتنسّى له الوقتُ من أجل أبحاثه العلميّة، إذ بقي على اتّصالٍ بالمسارات العلميّة الدوليّة عُضواً في الجمعية الأميركية للرّياضيّات، وكانت له دراساتٌ في التعليم العالي وتعريبه، وفي البحث العلمي وتنميته وتنسيقه.

أمّا عن عِشْقِ الفقيدِ للّغة العربيّة، فيعود إلى نعومة أظفارِه عندما ارتأى مع زميلَين له حضورَ دروسٍ في العربيّة من خطيبٍ مُفوَّهٍ في جامِعِ الدقّاق في حيّ الميدان، ما ساهمَ في صقل عربيَّته. ترسّخت سُمعَتُه في إتقان اللغة العربيّة عندما كان مُضطّراً بحُكمِ مناصبه لحضور أسابيعِ العلم في الجامعات السوريّة وللتكلّم في مناسباتِ حَفْلِ افتتاحها، حيث كان الحضورُ يضمّ علِيَّةَ القوم، ومنهم رئيسُ المَجمع السابق الأستاذ الدكتور المرحوم شكري الفحّام الذي أُعجب بفصاحة فقيدنا، فكان يطلب كلماتِه دائماً. وبعد سنينَ من المراقبة والتتبّع، أخبره أنه سوف يقترحه ليغدوَ عضواً في مجمع اللغة العربيّة. طبعاً لم يصدّق فقيدُنا هذا الكلامَ للبرهة الأولى، واعتبره نوعاً من المجاملة، إذ صَوَّر له تواضعُه أنه غيرُ جديرٍ بعضويّة هذا المَجمع الذي يضمّ أطنابَ اللغة، والمتبحّرين في علومِها، بينما اختصاصُه هو يكمن في مجال الرياضيات والعلوم. وإذ بالاقتراح يغدو انتخاباً من قبل مجلس المَجمع، وتتمّ تهنئةُ فقيدِنا عند عودته من زيارةٍ إلى خارج القطر، وهو حتى ذلك الوقت كان يتساءل ما الغايةُ من اختيارِ مُختَصٍّ بالعلوم الرياضيّة لتبوّء عضويةِ أقدمِ مؤسسّةٍ تَعنى باللغة العربية في العالَم. ومع مرور الزمن، ومساهمة الفقيد في كثير من لِجان المَجمع العلمية، غدا واحدًا من أنشط أعضائه وأكثرِهم التزاماً بنشاطاته. بشكلٍ خاصّ، ترأّس لَجنةَ مُعجَم الرياضيات، التي بذلت جهداً جبّاراً تُوِّج بإصدارِ مُعجَم الرياضيات الذي يربو على سبعمائةٍ وأربعَ وسبعين 774 صفحةً تتعرّض لأغلب مواضيع الرياضيات في الجبر والهندسة والتحليل الرياضي. كما انضمّ كذلك إلى لَجنةِ مُعجَم الفيزياء، حيث التقيتُه كما ذكرتُ سابقاً. وخلال عملي معه في لَجنة الفيزياء، كان لا يتأخّر عن الموعد أبداً، دقيقَ المُلاحظة وحريصاً على اقتناء اللّفْظ المناسب للشرح، فكان يقول: "إن الإنسان الذي لا يُتقن اللّغةَ لا يستطيع التعبيرَ الجيّدَ عن أفكاره، وتأتي اللّغةُ في لسانه مختلفةً عن الفكرة التي في رأسه، ممّا يعني إيصالَ فكرةٍ غيرِ مُصيبة إلى القارئ، ومن هنا تأتي أهميّةُ اللّغة في التعبير الدقيق عن الأفكار العلميّة".

هذا طيفٌ من الجانِب العِلمي للدكتور الفقيد، يَجعَلُه منتمياً وبجدارة إلى أعلام بلدنا الذين تُرفَع لهم القبّعات على مدى العصر العلمي السوري الحديث. ولكنني سأتكّلم الآن عن شذراتٍ من الجانب الوجداني لهذا المربيّ، والمعلِّم الفاضِل، والأستاذ، والأب الكبير الذي كان ينظر إلى جميعِ الناس على أنهم إخوةٌ في الإنسانيّة فلم يفرّق بين إنسان وآخر إلاّ وِفْق قواعد العمل.

تتألّف أسرتُه من أربعة أولاد: الدكتورة لينا أخصّائية تغذية، ثم الدكتورة أمان أخصّائية جلديّة، ثم الدكتور يمان أخصّائي في الأمراض العصبيّة، والدكتور بشر أخصّائي في الأمراض الداخليّة والهضميّة، وكلُّهم كِبارٌ في التهذيب والتربية والنجاح. كانت لديه جلسةٌ عائليّة أسبوعيّة مع الأحفاد والأولاد لسرد القصص واستخلاص العِبر، فكان يطلب حتى من الأحفاد –بأعمارٍ من الستِّ سنينَ حتى الجامعة– أن يُحضِّروا ما يُلقونه باستخدام وسائل التَّقانة الحديثة.

كان يحزّ في قلبه أن المواطنَ العربي مُقلّ في القراءة مقارنةً مع مواطني البلاد المتقدّمة، إذ يَصرِف وقتاً جمّاً على وسائل التواصل الاجتماعي يَنْهَل ممّا فيها وَجُلُّه يُعيد تدويرَ نفسِه مع وجود كثيرٍ من الغثّ والمعلومات الخاطئة فيها.

لقد تميّز فقيدُنا الكريم بمحبّة عميقة لوطننا الحبيب، وهي مناسبةٌ لأذكرَ هنا خمسَ نقاط من تجربتي الشخصية على ندرتها مع الفقيد، إذ لا أُخفيكم أنني مع الشعور بالهيبة –كما ذكرتُ سابقاً– انتابتني مشاعِرُ سعادةٍ في أن تُتاحَ لِي هذه الفرصةُ لأتحدّث عن الفقيد.

النقطةُ الأولى عن أوّلِ مرةٍ سمعت بها باسم الفقيد، وتعود إلى عامِ ثمانين وتسعمائةٍ وألف 1980 عندما انتسبتْ أختي إلى مركز الدراسات والبحوث العلميّة، حيث كان يُدرِّس. ومع أنها –ولأسباب عديدة– قرّرتْ بعد شهرٍ الانسحابَ من المركز والالتحاقَ بكليّة الطب، وعلى الرغم من تفوّقها هناك بإحرازها الترتيبَ الأوّلَ على دفعتِها، فإنها لم تنس أبداً ذلك الأستاذَ النشيطَ الذي أعطاها وزملاءَها بضعةَ محاضراتٍ أخذت بألبابهم. منذ ذلك الوقت وعمري اثنتا عشرة 12 سنة واسمُ الدكتور دعبول محفور في مُخيِّلتي.

النقطة الثانية تعود إلى صيف عامِ ثلاثةٍ وثمانين وتسعمائةٍ وألف 1983 عندما كنتُ في مُعسكر الفُتُوّة للصفّ العاشِر في ثانويّة جودة الهاشمي –وهي المدرسةُ نفسُها التي دَرَس فيها فقيدُنا الكريم– وطُلب مِنّا القيامُ بعمليّات طِلاءٍ لأرصفةٍ على طريق قاسيون الجبلي. لقد شاءتِ الصُّدَف أن أكون وولدَي الفقيد في المدرسةِ نفسِها، بل وأن أكون مع ابنه البِكْر الدكتور يمان في الشُّعبةِ نفسِها. قام أحَدُ زملائنا عندها ممّن كان من المُفترَض بهم الإشرافُ على تأدية عملنا في طِلاء أرصفة الشارع العامّ بِحثّنا على إنهاء العمل بسرعة ولو بدون إتمامِه –من خلال سكب

الطِّلاء في أحد المجارير– من أجل العودة سريعاً والهروب من حرارة الصيف القائظة وأشعة الشمس اللاهبة، وأتذكّر عندها كيف واجهه يمان وقال له بما معناه إنّ الوطنَ يستحقّ منّا العملَ والاستمرارَ في بذل الجهود، فإذا تهاونّا في الأمور الصغيرة فما بالُك في ما هو أكبر. بقِيتْ هذه الحادثةُ في ذِهني مِثالاً على "وطنيّة" زميلي يمان الذي أذكر أنني التقيته آخِرَ مرّة –ربّما– في معسكر التدريب الجامعيّ عامَ ستّةٍ وثمانين وتسعمائة وألف 1986، وسمعتُ بعدها بسنوات أنه سافر إلى الولايات المتَّحدة لدراسة الطبّ.

النقطةُ الثالثة تخصّ دراستي في المعهد العالي للعلوم التطبيقية والتكنولوجيا بين عامَي خمسة وثمانين وتسعمائة وألف وثمانيةٍ وثمانين وتسعمائةٍ وألف 1985–1988، إذ كانت مُؤلَّفات الدكتورِ الفقيد –مع زميله الأستاذ الدكتور المرحوم صلاح الأحمد، سليلِ العلم والأخلاق والوطنية والذي كان رائدَ الرياضيات الحديثة في سورية– من أكثر المراجِعِ المكتوبة باللّغة العربية موثوقيّةً لدينا نحن الطلاّب، ولا تزال مثلاً الثلاثةَ عشرَ مجلّداً لمؤلَّفات سميرنوف في الرياضياتِ العالية التي ترجمها فقيدُنا مع ثُلّة من كبار دكاترة قسم الرياضيّات مرجعاً للطلاّب لغاية اليوم.

أمّا النقطة الرابعة فأتت بعد عدّةِ عقود من الزمن، عندما انضمّ إلينا الدكتورُ الفقيد في لَجنة الفيزياء في المَجمع، فأسرعتُ بتقديم نفسي إليه، وربّما ظَنّ فقيدُنا أنني سأتكلّم عن عملي ودراساتي بينما عرّفتُ عن نفسي فقط بأنني كنتُ صديقَ دراسةٍ لابنه يمان متسائلاً عن مكان الأخير، ومُتوقِّعاً أن يكون في الولايات المتّحدة مثل الكثيرِ من شباب بلدي الذين فضّلوا الاستقرارَ في الغرْب المُتقدِّم بعد إنهاء دراساتهم، أو اضطرتهم الظّروفُ الصَّعبة في السنين الأخيرة إلى الهِجرة، وإذ به يُخبِرُني بأنّ كلا نَجلَيه الدكتورَين يمان وبشر يقطُنان ويعمَلان في دمشق، وهنا تذكّرت تلك الحادثةَ صيفَ ثلاثةٍ وثمانين وتسعمائة وألفٍ 1983، وتأكّد لي أنْ لا شيء سيدفع أولادَ الدكتور الفقيد إلى ترك وطنهم الذي يحبّونه ويعشقونه.

النقطة الخامسة وبعد أن ترجّل عن فرسه فارِسُنا الفقيد، وأثناء بحثي عن مصادرَ للتعرّف أكثرَ على شخصه الكريم، أخبرني أحَدُ الزّملاء بوجود كتابٍ كتبَهُ وأولادَه سرد خلالَهُ بعضاً من قصصٍ وتجاربَ مرّت في حياته وفي أسرته، ويشتمل على ما يمثّل مُختاراتٍ من حياةِ عائلةٍ سوريّة مثقّفة، وعلى الكثير من الأفكار والتوجيهات التربويّة والأخلاقيّة، وأنّه موجود في دار الفِكْر القريبة من مشفى التوليد الجامعيّ. مرّ شهرٌ الآن على ذلك اليوم الذي سألتُ فيه عن دار الفكر، وقمتُ مع والدي ذي الخمسة والثمانينَ عاماً بتسلّق أدراجٍ مُعتِمة حتّى بلغنا دارَ الفِكْر، وكمْ كنتُ سعيداً بتوفّر الكتابِ عندهم، فاقتنيتُه وأسرعت إلى المنزل أقرؤه بِنَهَمٍ، ولم أَنَمْ يومَها حتى أنهيتُ قراءةَ الجزءِ الأوّل الذي كتبه فقيدُنا. وتبيّن لي فِعلاً أنه فارسٌ من فرسان الكلمة الطيبة والتعليم، وحارسٌ من حراس اللغة العربية. رحِمَه الله، وتغمَّده بواسِع رَحْمَتِه.

بشكلٍ خاصّ ما أثّر فيّ كثيراً، هو المحطّةُ الأولى في كتابه عندما تحدّث عن محاولة الاغتيال التي تعرّض لها نَجْلُه الدكتور بشر في خِضَمّ الأحداث المُؤلِمة عامَ أربعةَ عشر وألفَين 2014، إذْ تتبيّنُ مشاعِرُ الأُبُوّة العارِمة والعواطفُ الجيّاشة عندما علِم بإصابة نَجْلِه واحتمال فَقْدِه، ولكن ما وجدتُه استثنائيّاً يُجاوِر حدودَ طاقةِ البَشَر هو المَوْقفُ الذي اتّخذه –مع تزايُد ضغوطِ المُحبّين لِنَجْلِه عليه من أجل مغادرة البلد بعد شَفائه بحثاً عن الأمان– بأنْ كان الوحيدَ بين أفرادِ الأُسرة الذي طلب من الدكتور بشر التريُّثَ، ما دفع الأخيرَ إلى البَقاءِ والإيمانِ المُطلَقِ بأنه لن يُصيبَنا إلاّ ما كتب اللهُ لنا. قرأتُ هذه المَحطّةَ وعادت بي ذاكرتي إلى أربعين سنةٍ خلت عندما كنتُ زميلاً ليمان وبشر هذَين الأخوَين اللذين قدّما مثالاً رائعاً عن التمسّك بالوطن والبقاءِ رَغْماً عن الشدائد.

قادتني هذه النقاط الخمس بدايةً إلى استنتاجِ وجودِ تشابُهٍ تماثلي بين الفقيد ووالدي، فَكِلاهما تفوّق في الثانوية ولم يُسجّل في الطبّ، بل في فرعٍ علميٍّ يهواه، وكلاهما درس خارج القُطر موفَداً وعاد للوطن بعدها، وكلاهما نال درجةَ الدكتوراة في فرعٍ علميّ، وكلاهما كان عاشقاً للّغة العربيّة، إذ كان والدي المهندس يَنْظم الشِّعْرَ منذ الصفّ الثامن، وكلاهما رزِق بأولادٍ حَمَلوا جميعاً لَقْبَ دكتور، وأخيراً كلاهما طلبَ من أولاده عدمَ الهِجرة والبقاءَ في الوطن.
ولكن ومع تفحّص هذه النقاط بشكلٍ أعمق، أدركتُ أن صورةَ الفقيد كوالِدٍ لم تكن خاصّةً بي، بل كان فقيدُنا حقيقةً والِداً لكلِّ مُثقّف في الوطن، وخاصةً من عَرَفه وجالسه وأنِس بحديثه وعاش معه الغيرةَ على اللُّغة العربية وعلى الثقافة والعلم والتربية وعلى النجاح. من خلال محادثاتي مع طلاّب الفقيد، أدركتُ أنه لم يكن حريصًا على بثّ عوامِل النجاح في أسرته فحسب، بل كان لا يبخَل بإسداء النّصائح التي تمثّل هذه العواملَ إلى كلّ من استطاع الوصولَ إلى قلبه وعقله، وبالتالي كان أبًا للجميع.

سيداتي وسادتي،

إنه لَمِنْ دواعي فخري أن يَتُمّ اعتباري خَلَفاً لِسَلَفٍ يُشرّفني أن أنظُرَ له بمثابة والِدٍ بالرّغم من لِقائي الوجيز به خلال هذه الحياة، أنظر إلى مسيرتِه في المَجمع وأحاول السيرَ على خُطاه، ولعلّ الخُطوةَ الأولى التي أطمح لها الآن تكمن في كتابة سِلْسِلةٍ تخصّصيّة في مجال الرياضيّات والفيزياء النظريّة يمكن اعتبارُها تتمّةً لمُؤلَّفات فقيدِنا في أساسيّات الرّياضيات والميكانيك. وهنا أنتهز الفُرصةَ لأستحضرَ الذِّكرى العَطِرَة للمَجمعيّ المرحوم الأستاذ الدكتور عبد الله واثق شهيد الذي أشرف عِلميّاً على دراستي، ولأتقدّم بكامِل شُكري لمديري السابق الدكتور عمرو الأرمنازي، فَلِكِلَيهِما الفضْلُ الأوّل في دراستي هذا المجالَ من العلوم، والبقاءِ فيه بالرغم من مُحاججةِ

البعض بأن بلدَنا لا يحتاج لعلوم نظريّة. هذه الحُجّةُ التي تنظر إلى الفيزيائي النظريّ وكأنّه غارقٌ في بُرجِه العاجيّ مع أفكاره ومعادلاته الرياضيّة، بينما لا بُنْيانَ علميّاً قويّاً دون أساسٍ نظريّ متين. بقي تدريسُ مُقرّرات الفيزياء الحديثة في شِقَّيها النسبوي والكمومي بسبب هذا التحجُّج مُقتصِراً على جهودٍ فرديّة في جامعاتنا بالرَّغم من مرورِ أكثرَ من قرنٍ على اكتشافهما.

لا شكَّ في أن كتابةَ مؤلّفاتٍ على مستوى الماجستير والدكتوراة باللغة العربيّة يُشكِّل تحديّاً كبيراً من حيث أننا وإن نَجَحنا لغاية اليوم في تعريب كثيرٍ من مصطلحات الرياضيّات والفيزياء بحيث تَعمَّم استعمالُ العربيّة في التعليم المدرسي والتعليمِ الجامعيّ في مرحلتِه الأولى في كثيرٍ من البُلدان العربيّة، فإن لغتَنا لا تزال تعاني نُقْصاً كبيراً في المُصطلَحات المُستخدَمة في الدراسات الجامعيّة العليا. وبالرغم من إقرارنا بأن الإنكليزيّةَ أضحت في عصرنا اللغةَ العِلميّة العالَمية، حيث سبعةٌ وتسعون بالمائة 97% من الأبحاث والورقات العلميّة المنشورة تُكتَب بها، إلاّ أن العالَمَ يبقى مُتعدّدَ الثقافات واللُّغات، ومن ثَمّ، فإن الاعتيادَ على استعمال اللغة الإنكليزية يُمكِن أن يُؤثِّرَ على لُغةِ المتحدِّث الأصليّة وعلى طريقةِ تفكيره. لذا لا بدّ من التصدّي لِمُهِمَّة إيجاد مُصطلحاتٍ علميّة وتقنيّة لتعابيرَ متقدّمةٍ، عبر استراتيجيّةٍ تعتمد قواعدَ عامّةً مَنْهَجِيّةً ومُبتكَرةً أحياناً، خاصّةً وأن المناقشاتِ البحثيّةَ التخصصيّة بين أصحاب الكار –كما تبيّن لي خلال زياراتي العلميّة إلى بلاد عديدة– تتمّ غالباً باللغات الأصليّة مع استعمال الألفاظ الإنكليزيّة في التعابير التقنية التي لم نجد بعدُ مُصطَلحاً مقابلاً لها باللغة الوطنيّة.

وفي الخِتام أقول إن تعاونَ اللغويّين والعلميّين في مَجمعنا كفيلٌ بإثراء اللغة العربيّة وتمكينِها من استيعاب العلوم الحديثة، وكلّي أملٌ وطموحٌ في أن أكون في هذا السياق عوناً لزملائي، وقادراً على النهوضِ بالمُهِمّة التي أُنتُدِبت لها، والوفاءِ بالأمانة التي أُوليتُها.

والسلام عليكم.